Neo Scientific Peer Reviewed Journal
Volume 6, Jan. 2023 ISSN (E): 2949-7752
www.neojournals.com

==========

STYLISTIC STUDY

Maison jasim Abdullah Hussein
Directoate of Education of Kirkuk/Mutulu Preparatory School for Girls
maison.jasim1978@gmail.com
soothsayer co

Abstract:	
The research deals with the saj of the priests through the stylistic study, through its different levels: structural, semantic, phonetic, and others	**The rhymes of the soothsayers / the stylistic rhymes of the book / duality and balance**

ميسون جاسم عبدالله حسين
مديرية تربية كركوك /إعدادية موطلو للبنات

سجع الكهان

دراسة أسلوبية

تمهيد:

يتناول البحث سجع الكهان من خلال الدراسة الأسلوبية ، من خلال مستوياتها المختلفة : التركيبية والدلالية والصوتية وغيرها.

الكلمات المفتاحية

سجع الكهان /سجع الكتاب من الناحية الأسلوبية/ الازدواج والتوازن.

أولا: مفهوم سجع الكهان:

أ- السجع لغة:

قال ابن منظور في معجمه " لسان العرب" معنى: " سجِعَ وسَجَع : يسجع سجعا : استوى واستقام ، واشبه بعضه بعضا ، والسجع الكلام المقفى ، والجمع : أسجاع وأساجيع ، وكلام مسجع وسجع يسجع سجعا ، وسجع تسجيعا ، تكلم له فواصل ، كفواصل الشعر من غير وزن ".[1]وواضح أم المعنى اللغوي لكلمة سجع يوافق ما ذكره البلاغيون عن السجع ، فالمقصود منه الكلام المختومة جمله على حرف معين ، وقد يشمل ذلك جملتين فأكثر ، السجع في النثر العربي القديم قضية واسعة تنازع فيها النقاد ، فمنهم من وجدها زينة للكلام ، ومنهم قدم على الأسلوب المسجوع الأسلوب المرسل ،الذي لا يحفل باختتام نهايات بأحرف متماثلة ، طلبا للصنعة والرنين والموسيقا التي تحدثها النهايات المتماثلة بين الجمل.

- **السجع عند البلاغيين والنقاد:**

يعد السجع من الوسائل الصوتية في الكلام ، والسبب تكرار حرف بعينه في نهايات الجمل ، وتتحدد أهمية السجع ما قال ابن الأثير من خلال سماعه الإصغاء إليه[2] ، بيد أن جمال الأسجاع لا ينجم عن ذلك فحسب ، بل من خلال نظم المفردات في الجملة ، فإن بدا الائتلاف الصوتي متحققا بين مفردات الجملة ، فذلك هو الإحسان في النظم ، ثم تأتي النهايات المسجوعة لتضفي على النظم جمالا فوق جماله.

إن السجع منوط بالبلاغة العربية ، لا ينفصل عنها ، لذا قرن البلاغيون بين الكلام المسجوع والشعر ، فعدوا السجع في الكلام كالوزن في الشعر[3] .

السجع عن العرب عنصر كريم ، فإذا وقع في الكلام التذّ به السامع ، كما قال ابن جني في حديثه عن الأمثال المسجوعة :" ألا ترى أن المثل إذا كان مسجوعا لذ لسامعه فحفظه ، فإذا هو حفظه كام جديرا باستعماله ، ولو لم يكن ، لم تأنس

---

[1]- لسان العرب ، ابن منظور ، مادة : سجع.

[2]- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير ، ج1، ص:224.

[3]. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير ، ج1، ص:224.

==========

This work is published under **CC BY-NC-ND 4.0**

النفس به ، ولا أنِقت لمسمعه ، وإذا كان كذلك لم تحفظه ، وإن لم تحفظه لم تطالب نفسها باستعمال ما وضع له ، وجيء به من أجله"[4]. وسئل الرقاشي :"لم تؤثر السجع على المنثور ، وتلزم نفسك القوافي وإقامة الوزن ؟ فقال: إن كلامي لو كنت لا آمل فيه إلا سماع الشاهد ، لقل خلافي عليك ، ولكني أريد الغائب والحاضر والراهن والغابر، فالحفظ إليه أسرع ، والآذان لسماعه أنشط ، وهو أحق بالقتييد وبقلة المنفلت ، وما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون ، فلم يحفظ من المنثور عشره ، ولا ضاع من الموزون عشره"[5].

بيد أن هنالك أحاديث للنبي صلى الله عليه وسلم تذم السجع ، فمن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:" اقتتلت امرأتان من هذيل فرمت إحداهما الأخرى بحجر فقتلتها ، فاختصموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقضى دية جنينها غرى عبد أو وليدة ، وقضى بدية المرأة على عاقلتها وورثها ولدها ومن معهم ، فقال حمل بن النابغة الهذلي : يا رسول الله كيف أغرم دية من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل ، فمثل ذلك يطل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما هذا من إخوان الكهان من أجل سجعه الذي سجع"[6].

- **سجع الكهان:**

لم ير العسكري في حديث رسول الله صلى الله وآله وسلم ، موجبا إلى الانصراف عن السجع عامة ، " ولو كرهه لكونه سجعا لقال : أسجعا ثم سكت ، وكيف يذمه ويكرهه إذا سلم من التكلف ، وبرئ من التعسف ، لم يكن في جميع أنواع الكلام أحسن منه"[7]. فالنهي كما يرى العسكري إنما وقع في سجع الكهان ، والسبب في ذلك كما ذكر الجاحظ: " لقرب عهدهم بالجاهلية ، ولبقيتها فيهم ، وفي صدور كثير منهم ، فلما زالت العلة زال التحريم ، وقد كانت الخطباء تتكلم عند الخلفاء الراشدين ، فتكون في تلك الخطب أسجاع كثيرة ، فلم ينهوا أحدا منهم"[8].

ويفضي رأي الجاحظ إلى أمور منها:

- أن السجع وسيلة من وسائل البلاغة العربية.
- إنما كره السجع في الأعصر الإسلامية الأولى ، بسبب ارتباط بعضة بكهان الجاهلية ، وكان المسلمون قريبي العهد بالجاهلي ، ولا زالت صور منه عالقة في صدورهم .
- لم ينكر الخلفاء الراشدون على الخطباء الأخذ بالسجع .

اعتمد كهان الجاهلية على السجع في خطابهم ، لأن فيه خفة وتأثيرا ، يقول ابن خلدون :" معنى السجع أخف من سائر المغيبات من المرئيات والمسموعات ، وتدل خفة المعنى على قرب ذلك الاتصال والبعد فيه عن العجز بعض الشيء"[9]. فالكهان كانوا يجعلون من السجع مطية للتعبير عن الأباطيل ، فيجذبون الناس ، ويخدعونهم :" اصطنع الكهان السجع ليروقوا السامع ويروعوه ، ليسهل على الناس فيحفظوه ويعوه ، ولهم في حوك الكلام مقامات حسان ، أخذ منها ابن دريد والهمذاني تلك المقامات الحسان ، سبقوا في السجع فما سبقهم إلا الحمائم ، وأخذوه طبعا فما لحقهم أحد"[10].

إذن سبق الكهانُ الخطباءَ إلى السجع ، فغلب على كلامهم ، وعوفوا به ، حتى نسب إليهم ، فقيل سجع الكهان ، وكان منهم من يقضي بين الناس ويحكم بينهم ، ومن ثم كان السجع لديهم أشبه بالحكم القاطع ، لأنه كان يُؤدى بأسلوب مؤثر ، ويضاف إلى ذلك أن السجع كان وسيلة الكهان في التعبير عن الغيبيات ، وقد زعموا أنهم يتصلون برئي يعلمهم ما

---

[4] – الخصائص ، ابن جني ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت 2003، ص:237.

[5] – البيان والتبيين ، الجاحظ ، تحقيق: درويش جويدي ، المكتبة العصرية ، ج1 ، بيروت ، ص: 175

[6] - سنن أبي داود ، دار لكتاب اللبناني ، ط2 ، بيروت ، د.ت ، ص: 257.

[7] – الصناعتين ؟، أبو هلال العسكري ، تحقيق: مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، ط2 ، بيروت 1989، ص: 286.

[8] – البيان والتبيين ، الجاحظ ، ج1، ص: 177.

[9] - مقدمة ابن خلدون ، تحقيق: حامد الطاهر ، دار الفجر للتراث ط1 ، القاهرة ، 2004، ص: 237

[10] – آثار محمد البشير الإبراهيمي ، ج:3 ، ص: 519.

This work is published under CC BY-NC-ND 4.0

سيقع ، لذا كانت الكهانة هي ادعاء معرفة الغيب والتبصر بالمستقبل ، والكاهن " هو القاضي بالغيب وكل من أدل بشيء قبل وقوعه"[11].

لقد نهى الله تعالى في محكم تنزيله عن الكهانة ، ونفى الكهانة عن نبيه المرسل صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى:(فذّكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون)[12] ، وفي قوله تعالى: (ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون)[13]. بعد أن زعم المشركون أن النبي صلى الله عليه وسلم كاهن ، ولم يفرقوا بين القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم وسجع الكهان .

ومما حملته لنا كتب الأخبار صور من الأسجاع التي عملها الكهان ، يجدر بالباحث تحليلها ، وبيان أساليبها ، ولاسيما أن بعض الكهان مثل زبراء الكاهنة ، قد حاكوا القرآن الكريم في أسجاعهم ، فمن أسجاع زبراء تحذر قومها مما سيقع في قابل الأيام:" واللوح الحافق والليل الغاسق والصباح الشارق والنجم الطارق والمزن الوادق ، إن شجر الوادي ليأدو ختلا ، ويحرق أنيابا عصلا ، وإن صخر الطود لينذر ثكلا ، ولا تجدون معه معلا ، فوافقت قوما أشارى سكارى ، فقالوا : ريح خجوج ، بعيدة ما بين الفروج ، أنت زبراق بالبلق النتوج . فقالت زبراء : مهلا يا بني الأعزة ، والله إني لأشتم ذفر الرجال تحت الحديد . فقال لها فتى منهم يقال له هذيل بن منقذ : يا خذاق والله ما تشائين إلا ذفر إبطيك ،فانصرفت عنهم وارتاب قوم من ذوي أسانهم ، فانصرف منهم أربعون رجلا ، وبقي ثلاثون فرقدوا في مشربهم ، وطرقتهم بنو داهن وبنو ناعم فقتلوهم أجمعين"[14].

من الواضح أن الكاهنة في قولها المسجوع هنا تتبع أسلوب القرآن الكريم ولا سيما في الابتداء بالقسم ، إذ أقسمت بالليل وبالصبح وبالنجم ، وجاء في القرآن الكريم من هذا الأسلوب الكثير ، إذ أقسم الله تعالى بالسماء والنجوم والعاديات والتين والزيتون ، وقد قال المفسرون أنه سبب الابتداء بالقسم في القرآن الكريم ، بأنه أسلوب من أساليب العرب في الخطاب ، والقرآن نزل بلسان العرب لذلك خاطبهم بما هو مألوف في كلامهم ، وما يكون على أقدار عقولهم .

ومن أسجاع الكهان ما قاله عوف بن ربيعة وقد أتاه رئيه ليعلمه ما سيحل بقومه :" يا عبادي ، قالوا : لبيك ربنا ، قال: من الملك الأصهب ، الغلاب غير المغلب ، في الإبل كأنها الربرب ، لا يعلق رأسه الصخب ، هذا دمه ينثعب ، ، وهذا غدا أول من يسلب ، قالوا : من هو يا ربنا ؟ قال: لولا أن تجيش نفس جاشية ، لأخبرتكم أنه حجر ضاحية ، فركبوا كل صعب وذلول ، فما أشرق لهم النهار حتى أتوا على تعسكر حجر ، فهجموا على قبته "[15]. وكذلك ما قاله خنافر الحميري الكاهن ، ويقال إنه أوتي بسطة في الجسم وسعة في المال ، وعان عاتيا عتوا كبيرا ، فيتحدث عما دار بينه وبين رئيه شصار سجعا ، الذي نصحه بدخول الإسلام :" قال خنافر : قل اسمع ، فقال(شصار) : عه تغنم ، لك مدة نهاية ، وكل ذي أمد إلى غاية . فقال خنافر: أجل ، قال(شصار):كل دولة إلى أجل ، ثم يتاح لها حول، انتسخت النحل ، ورجعت إلى حقائقها الملل ، إنك سحير موصول ، والنصح لك مبذول ، وإني آنست بأرض الشام ، نفرا من آل العذام ، حكاما على الحكام ، يذبرون ذا رونق من الكلام ،ليس بالشعر المؤلف ، ولا السجع المتكلف ، فأصغيت فزجرت ، فعاودت فظلفت ، فقلت بم تهيمنون ، وإلام نعترون ؟ قالوا : خطاب كبار ، جا من عند الملك الجبار ، فاسمع يا شصار ، عن أصدق الأخبار ، واسلك أوضح الآثار ، تنج من أور النار "[16].

يعد هذا النص الذي ذكره الإخباريون من أوفى النصوص التي نسبت للكهان ، كما أنه يستوفي موضوعه وهو حكاية دخول خنافر الحميري في الإسلام وتصديقه رسالة النبي صلى الله عليه وسلم وذلك بتوجيه من رئيه شصار، لذا نراه نموذجا تاما يمكن إجراء التطبيق الأسلوبي عليه .

---

[11] – المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جواد علي ،ج3، ص:519

[12] – الطور : 29

[13] – الحاقة: 42.

[14] - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جواد علي ،ج3، ص:519

[15] - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جواد علي ،ج3، ص:520

[16] – المرجع السابق ، ج3، ص: 531.

This work is published under CC BY-NC-ND 4.0

- **إجراءات الدراسة الأسلوبية:**

هنالك إسهامات يصعب الإحاطة بها كان من شأنها توسيع مجالات البحث الأسلوبي المعاصر القائم على دراسة التكرار قدمتها الدراسات اللغوية الحديثة في الغرب ، كنظرية "فرديناند دوسوسير" (1857-1913م) في اللّغة ، التي سعت إلى توضيح علاقة اللّغة بالكلام، وتحليل الرموز اللّغوية ، ودراسة التركيب العام للنّظام اللّغوي ، وما ينطوي عليه كل ذلك من صور صوتية ودلالية ،غير أنّ النظام اللّغوي الذي تكلم عليه دوسوسير في نظريته لم يسلم من الاعتراضات بوصفه موضوعياً لا يربط نظام اللغة بنظام أشمل ، وقد أفاد "بالي" (1865-1947م) من أفكاره في جعل اللّغة نظاماً من العلامات تُبرِزُ الجانب الفكري والانفعالي للمتكلم ، إلا أنه أهمل اللّغة الأدبية ، فكان ذلك كما يشير د. محمد عبد المطلب من الأسباب الداعية لتجاوز آرائه في مجال دراسة الأسلوب[17] .

أما "كريسو" فقد أعاد الاعتبار إلى اللّغة الأدبية بعدما أبعدها "بالي" عن المجال الأسلوبي ، فوجد في الأدب شكلاً من أشكال التواصل الجمالي بين المؤلف والمتلقي، ونحا "ماروز" نحو "كريسو" في التركيز على لغة الأدب في التحليل الأسلوبي ، مستقصياً ظواهرها مثل علاقة المحسوس بالمجرد ، والمجمل بالمفصل ، والحقيقة بالمجاز، والشعر بالنثر ، واللفظ بالتركيب[18].

ولما جاء "آمادو ألونسو" حاول في دراساته الأسلوبية التي أقامها على أشعار بابلو نيرودا، إيجاد لقاء بين النّقد الأدبي والأسلوبية بغية إبراز السّمات الأسلوبية للمنشئ من خلال نتاجه ، مركزاً على علاقة الأديب بالأثر ، وعلاقة الدال بالمدلول من خلال التركيب ، وما ينجم عن كلّ ذلك من عناصر معنوية وتأثيرية . متجاوزاً نظرة دوسوسير التي أشار فيها إلى أن العلاقة بين الدال والمدلول علاقة اعتباطية ، لتتحول تلك العلاقة عنده إلى علاقة سببية ، مما جعل للدراسة الأسلوبية أهدافاً تتركز في معظمها حول الغاية التوصيلية للغة ، ولعل أهم ما نجم عن مباحث " ألونسو" توضيح الكيفية التي يبنى فيها الجسر بين الدال والمدلول ، وهو في حال التكوين . ويلاحظ الدارسون أنّ محاولته تحديد العلاقات المتشابكة داخل العمل الأدبي أوقعته في متاهات غامضة ، ولاسيما عندما تكلم على اللحظة الاستشراقية التي تتداخل مع عوالم غامضة من الأفكار والعواطف والتهويمات والذكريات [19] ، وقد أفاد البحث من هذه الدراسات عامة.

- **منهجية البحث الأسلوبي:**

حاول الأسلوبيون من خلال المنهج الإحصائي في دراساتهم توخي الموضوعية، كما هو الشأن عند "جيرو" الذي اعتبر الأسلوب "انزياحاً كمياً بالقياس إلى معيار"[20]، و"كوهين" الذي ماز الأسلوب الشعري بمقدار انزياح نص ما عن مجموعة نصوص ، بهدف تحديد مجالات التميز في تلك النصوص[21]، وبذلك تم الربط بين الإحصاء والأسلوبية لتغدو الظاهرة الأدبية قابلة للمقايسة المعيارية ، وقد خطا "ستيفن أولمان" بالدراسة الأسلوبية خطوات مهمة في محاولة لتخطي الاشتراطات الشكلية لهذا المنهج ، فعمد إلى تمييز مجموعة من الكلمات التي سماها (

---

[17]. 153 البلاغة والأسلوبية ، محمد عبد المطلب ، مكتبة لبنان ، ط1 ، بيروت 1994، ص:

[18] 67 المرجع السابق ، ص:

[19]. 177 البلاغة والأسلوبية ، محمد عبد المطلب ، ص:

[20] 10 علم الأسلوب ، صلاح فضل ، دار الشروق ، ط1 ، القاهرة ،1998 ،ص:

[21] 55 المرجع السابق ، ص:

This work is published under CC BY-NC-ND 4.0

المفـاتيح) مـن خـلال رصـد معـدلات تكرارهـا فـي نـص مـا ، ومـن ثـم ربطهـا بالسـياق لتقـديم مقاربـات أسـلوبية إحصـائية تتخطـى الجانـب الإحصـائي الشـكلي ليتسـنى لـه تفسـير النّصـوص تفسيراً نفسياً أو وظيفياً[22] .

وعلـى هـذا النحـو انطلقـت الأسـلوبية الإحصـائية مـن فكـرة تـرجح الكـم والقـيم العدديـة علـى الحـدس ، مـن أجـل ذلـك قـام الاهتمـام علـى إحصـاء العناصـر المعجميـة وقيـاس طـول العبـارات ، ودراسـة العلاقـات بـين الأسـماء والأفعـال ، ويـرى "هنـريش بليـث" أنّـه كلّمـا كانـت المقـاييس المعتمـدة فـي التحليـل الإحصـائي متنوعـة كانـت النتـائج دقيقـة ، وكلّمـا كـان المـتن المحلـل واسـعاً كانـت الإحصـاءات أكيـدة [23]. وثمـة محاولـة جـديرة بالإشـارة فـي مجـال التطبيـق الأسـلوبي الإحصـائي قـدمها سـعد مصـلوح فـي كتابـه " الأسلوبـ دراسـة لغويـة إحصـائية" اعتمـد فيهـا علـى آراء "بوزيمـان" فـي تحديـده ظـواهر الأسـلوب بالحـدث والوصـف أو بالفعـل وبالصـفة ، وقـد اعتمـد فـي ذلـك علـى آليـة تفضـي إلـى حسـاب عـدد الكلمـات المعبـرة عـن الأحـداث ، والكلمـات المعبـرة عـن الأوصـاف ومـن ثـم إيجـاد حاصـل قسـمة المجموعـة الأولـى علـى الثانيـة لتحديـد القيمـة العدديـة ومـن ثـم النّظـر إلـى تلـك القيمـة بوصـفها مؤشـراً علـى الأسـلوب الأدبـي[24]. ويشـير حسـن نـاظم فـي كتابـه (البنـى الأسـلوبية) إلـى جملـة مـن العوائـق التـي حالـت دون نجـاح محاولـة مصـلوح فـي تطبيقـه نظرية العالم الألماني "بوزيمان" على النّصوص العربية منها:

أـ إن نظريـة "بوزيمـان" ناجمـة عـن طبيعـة اللّغـة الألمانيـة ، واللّغـة العربيـة تختلـف مـن حيـث مسـتوياتها التركيبيـة عـن اللّغـة الألمانيـة ، مـن أجـل ذلـك يلاحـظ نـاظم أنّ سـعد مصـلوح قـد تجاهـل خواص اللّغة العربية في تطبيقه هذا المنهج.

ب ـ لـم يقـدم سـعد مصـلوح مسـوغات كافيـة لتطبيـق نظريـة "بوزيمـان" علـى اللّغـة العربيـة ، بـل اكتفـى بتهـذيب مفهـومي التعبيـر بالحـدث والتعبيـر بالوصـف ليتجـاوز معيـار انتمـاء الكلمـات إلـى أحد المستويين[25].

ج ـ اسـتبعد مصـلوح الأفعـال الناقصـة والجامـدة وأفعـال الشـروع والجمـل التـي تقـع صـفة فـي كـلام العرب وهذا تجاوز للإجراء الإحصائي.

وسنعول هنا ما أمكن من المنهج الإحصائي في دراسة معدلات التكرار والبنى النيصية التركيبية والنحوية والصوتية .

ـأسلوب السجع:

حارب الإسلام الكهانة وأبطل العمل بها ، والاعتقاد بشأنها ، ولم يبق منها سوى نصوص لغوية صيغت بطريقة هؤلاء الكهان ، قال الأزهري :" وكانت الكهانة عند العرب قبل مبعث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما بعث نبينا وحرست السماء بالشهب ومنعت الجن والشياطين من استراق السمع وإلقائه إلى الكهنة ، بطل علم الكهانة ، أرهق الله تعالى أباطيل الكهان بالفرقان الذي فرق الله تعالى بين الحق والباطل ، وأطلع الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم ، بالوحي على ما شا من علم الغيوب التي عجزت الكهنة عن الإحاطة به ، فلا كهانة اليوم بحمد الله ومنّه وإغنائه بالتنزيل[26].

---

[22] – علم الأسلوب ، صلاح فضل ،ص: 76.

[23] – الأسلوبية منهجا نقديا ، محمد عزام ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، 1989، ص: 6

[24] – البلاغة والأسلوبية هنريش بليث ، ترجمة : محمد العمري ، دار أفريقيا الشرق ، ط1 ، المغرب ، 1995 ، ص:79.

[25] – الأسلوب دراسة لغوية أسلوبية ، عد مصلوح ، دار الفكر العربي ، ط1 ، القاهرة ، 1984 ، ص: 54.

[26] ـ لسان العرب ، ابن منظور ، مادة :سجع

This work is published under CC BY-NC-ND 4.0

وأوردت كتب الأخبار الكثير من الأسجاع على شاكلة حكاية إسلام خنافر المثبتة آنفا، وتقوم طريقة سجع الكهان عادة على :

- الفقرات القصيرة.
- لزوم السجع.
- تساوي الفواصل في كثير من الأحيان.
- الألفاظ المبهمة والجمل الغامضة.
- تمويه الموضوع ، فلا يعرف القارئ موضوع سجع الكهان إلى بعد أن يقطع شوطا في قراءة النص.

ويختلف هذا الضرب عن سجع البلغاء ، ولاسيما خطب الأعراب كخطبة هانئ بن مسعود يوم ذي قار حيث قال :"يا معشر بكر ، هالك معذور ، خير من ناج فرور ، إن الحذر لا ينجي من القدر ، وإن الصبر من أسباب الظفر ، المنية ولا الدنية ، استقبال الموت خير من استدباره ، الطعن في ثغر النحور ، أكرم منه في الأعجاز والظهور ، يا آل بكر قاتلوا فما للمنايا من بد"[27]

- اعتدال الجمل المسجوعة من حيث الطول .
- البيان المشرق من جهة التعبير.
- اللغة الواضحة.
- السجع غير المتصنع .
- إتمام المعنى في كل فاصلة من فواصل السجع.
- الاعتماد على الازدواج .
- عدم تكلف الغموض .
- الاعتماد على التوازن.

وعليه فإن سجع الكهان يختلف عن سجع البلغاء العرب من حيث الغموض الذي يحجب المعنى في سجع الكهان ، في حين يتلألأ المعنى مشرقا واضحا في سجع الخطباء ، كما أن لغة الكهان وحشية غامضة ، في حين تبدو لغة الخطباء واضحة يوشحها لبوس الفصاحة والجزالة والقوة ، فالمعنى يتوارى في سجع الكهان ، وتظهر علامات التصنع في سجعهم ، والسبب في ذلك محاولتهم تضليل السامع وعرض الأباطيل والخرافات.

إن الأصل في السجع الاعتدال في مقاطع الكلام ، وهو ما أشار إليه أهل البلاغة ، مع أن السجع عامة يعتمد على تواطؤ الفواصل ، كما يرى ابن الأثير لهذا قال :" (يجب) أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة حارة ، طنانة رنانة ، لا غثة ولا باردة ، وأعني بقولي غثة باردة أن صاحبها يصرف نظره إلى السجع نفسه من غير نظر إلى مفردات الألفاظ المسجوعة وما يشترط لها من الحسن ، ولا إلى تراكيبها وما يشترط له من الحسن ، وهو في الذي يأتي به من الألفاظ المسجوعة كمن ينقش أثوابا من الكرسف (القطن) أو ينظم عقدا من الخزف الملون"[28] .

من الواضح أن استحسان السجع كما يقول ابن الأثير منوط بجودة الألفاظ والتراكيب التي يقوم عليها السجع ، بمعنى أن تكون الألفاظ مما يجري على ألسنة الناس ، لا غريب فيها ولا وحشي، ولاتنافر، وفي حسن نظمها في تراكيب ، بعيدة عن المعاظلة والتراكب ، كل ذلك ليحسن موقعها في السمع ويحلو في النفس ، كذلك من شروط جودة السجع أن تكون الألفاظ تابعة للمعاني ، يقول عبد القاهر الجرجاني :" (لا تجد) تجنيسا مقبولا ولا سجعا حسنا ، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه وحتى تجده لا تبتغي به بدلا ولا تجد عنه حولا" [29] . وللسجع سر كما يقول ابن الأثير :" واعلم أن للسجع سرا هو خلاصته المطلوبة ، فإن عري الكلام المسجوع منه فلا يعتد به أصلا ، وهذا الشيء لم ينتبه إليه غيري ، والذي أقوله في ذلك هو أن تكون كل واحدة من السجعتين المزدوجتين مشتملة على معنى واحد

[27] - الأمالي ، أبو علي القالي ، ج1، ص: 170.
[28] - المثل السائر ، ابن الأثير ، ج1، ص:278.
[29] – أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : ريتر ، مؤسسة الرسالة ، ط1 ، بيروت ، 2004، ص:14.

This work is published under CC BY-NC-ND 4.0

كانت الثانية كافية في الدلالة عليه ، ومن جل كلام الناس المسجوع جار عليه"[30]. ولهذا وضع ابن الأثير شروطا للسجع الجيد أهمها:

- اختيار المفردات الصحيحة ، في ضوء مراعاة شروط جودة الألفاظ من الناحية البلاغية.
- حسن نظم الألفاظ في تراكيب .
- أن يكون اللفظ تابعا للمعنى ، لا أن يكون غاية في ذاته ، عندئذ يتحول الكلام إلى ثرثرة بلا طائل.
- أن تكون كل سجعة دالة على معنى آخر غير الذي دلت عليه سابقتها ، ويمكن تتميم المعنى في السجعة الثانية إلى لم تستوف الأولى معناها .
- أن يأتي السجع طبعا لا تكلفا ، قال ابن أسنان الخفاجي :" إذ جعل المحمود من الأسجاع ما أتى طوعا وسهلا دون تكلف "[31]، أو كما قال ابن الأثير:" وأما إذا كان محمولا على الطبع غير متكلف فإنه يجي في غاية الحسن ، وهو أعلى درجات الكلام ، وإذا تهيأ للكاتب أن يأتي به في كتابته كلها على هذه الشريطة فإنه قد يكون ملك رقاب الكلم ، يستبعد كرائمها ويستولد عقائمها ، وفي مثل ذلك فليتنافس وعن مقامه فليتقاعس "[32].

ومخالفة هذه الشروط يعد تطويلا كقول أبي إسحاق الصابئ:" الحمد لله الذي لا تدركه الأعين بألحاظها ، ولا تحده الألسن بألفاظها ، ولا تخلقه العصور بمرورها ، ولا تهرمه الدهور بكرورها ..."[33]، فهذا سجع مطول تمل منه الأسماع وتنفر الأذواق .

- الدراسة الأسلوبية(نص خنافر الحميري مع رئيه شصار ودخوله الإسلام بإرشاد منه):
- توثيق النص:

ورد النص كاملا في كتاب " الأمالي" للقالي ، جاء فيه :"

قال خنافر: **وكان رئي في الجاهلية لا يكاد يتغيب عني ، فلما شاع الإسلام فقدته مدة طويلة وساءني ذلك ، فبينا أنا ليلة بذلك الوادي نائما إذ هوى العقاب ، فقال : خنافر ، فقلت : شصار ؟ فقال: اسمع أقل ، قلت : قل أسمع ، فقال: عِهِ تغنم ، لكل مدة نهاية ، وكل ذي أمد إلى غاية ، قلت :أجل ، فقال: كل دولة إلى أجل ، ثم يتاح لها حول[34] ، انتسخت النحل ، ورجعت إلى حقائقها الملل ، إنك سجير[35] موصول ، والنصح لك مبذول ، وإني وينست[36] بأرض الشام نفرا من آل العذام[37] حكاما على الحكام، يذبرون[38] رونق من الكلام ، ليس بالشعر المؤلف ، ولا السجع المتكلف ، فأصغيت فزجرت ، وعاودت فظلفت[39] ، فقلت بم تهيمنون ، وإلام تعترون؟ قالوا خطاب كبار ، جاء من عند الملك الجبار ، اسمع يا شصار ، عن أصدق الأخبار ، واسلك أوضح الآثار ، تنج من أوار[40] النار . فقلت: وما هذا الكلام ؟ قالوا : فرقان بين الكفر والإيمان ، رسول من مضر، من أهل المدر ، ابتعث فظهر ، فجاء بقول قد بهر ، وأوضح نهجا قد دثر ، فيه مواعظ لمن اعتبر ، ومعاذ لمن ازدجر ، ألف بالآي الكبر . قلت : ومن هذا المبعوث من مضر ؟ قال: احمد**

---

[30] - المثل السائر ، ابن الأثير ، ج1 ، ص: 278.

[31] – سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي ، ص: 43.

[32] -- المثل السائر ، ابن الأثير ، ج1 ، ص: 279.

[33] – التخليص ، القزويني ، تحقيق: عبد الرحمن البرقوقي ، دار الفكر العربي ط ، القاهرة ، د.ت ، ص:398.

[34] – الحول : التحول.

[35] – الشجير : الصديق.

[36] – ينست : أبصرت.

[37] – آل العذام : قوم من الجن.

[38] – يقال ذبرت الكتاب: إذا قرأته.

[39] – ظلفت: منعت.

[40] – الأوار: شدة الحر.

This work is published under CC BY-NC-ND 4.0

خير البشر ، فإن آمنت أعطيت الشبر[41]، وإن خالفت ألقيت في سقر . فآمنت يا خنافر ، وأقبلت إليك أبادر ، فجانب كل كافر ، وشايع كل مؤمن طاهر ، وإلا فهو الفراق ، لا عن تراق . قلت : من أين أبغي هذا الدين؟ قال : من ذات الإحرين والنفر اليمانين ، أهل الماء والطين . قلبت : أوضح ؟ قال: الحق بيثرب ذات النخل ، والحرة ذات النعل[42] ، فهناك أهل الفضل والمواساة والبذل ، ثم أملس عني . فبت مذعورا أراعي الصباح ، فلما برق لي النور امتطيت راحلتي ، وآذنت أعبدي ، واحتملت بأهلي ، حتى وردت الجوف ، فرددت الإبل إلى أربابها بحولها[43] وسقابها...[44] "[45].

أولا: المستوى التركيبي في سجع الكهان:

لتحديد أية ظاهرة أسلوبية في نص ما ، يجب تحديد زوايا النظر إلى تلك الظاهرة؛ لأن اتجاهات البحث الأسلوبي على غاية من التنوع، وربما أضطر النص الباحث إلى اختيار زاوية النظر ، ولاسيما حين يفصح عن ذات المنشئ ، فيفضي إلى مجموعة ممكنات ، فالنص انعكاس لواقع نفسي واجتماعي وثقافي على النحو الذي أشار إليه شارل بالي[46].

وقد يكون المتلقي هو المستهدف ، كأن يتوخى تعليمه أو تلقينه ، وقد كان ريفاتير مهتما بهذا الجانب [47]، أي العلاقة بين الأسلوب والمتلقي.

وهناك من يرى أن النص نفسه المقصود ، وفي هذه الحال يُعنى الدارس باستخراج الثيمات الانعكاسية في النص ، ولاسيما أنها تمثل وقائع اجتماعية أو سياسية ، فالأسلوب في مثل هذه الحال يقوم على مبدأ التضمين الذي يدل على أن الأسلوب يؤدي وظيفة انعكاسية ،لهذا اتصلت الدراسات الأسلوبية من هذه الناحية بالدراسات التداولية التي تريد استخلاص السمات الأسلوبية المتمثلة بالوحدات اللغوية ، أي الكلمات ، تتصل بالاتجاهات الأسلوبية البنيوية التي تفصل بين النص وصاحبه.

ومهما اختلفت مشارب الأسلوبية ، إلا هنالك خطوات متماثلة انتهجا الأسلوبيون في دراسة أساليب النصوص في مقدمتها المستوى التركيبي الذي يقوم على دراسة الجملة وطولها والفعل والفاعل والإضافة والتقديم والتأخير والتعريف والتنكير والمبتدأ والخبر والصفة والموصوف والصلة والعدد والتذكير والتأنيث ، والروابط والزمن والصيغ الفعلية والاسمية ، والبنية العميقة والسطحية ، والمبني للمعلوم والمبني للمجهول.

وفي دراسة نص خنافر نجد:

جاء الجمل قصير ، تكاد تقتصر على ما هو عمدة في الكلام :

- اسمع أقل / قل أسمع / لكل مدة نهاية/وكل ذي أمد إلى غاية / كل دولة إلى أجل / ثم يتاح لها حول/ انتسخت النحل/ إنك سجير موصول/والنصح لك مبذول/ خطاب كبار/فاسمع يا شطار/ عن أصدق الأخبار ، واسلك أوضح الآثار / فرقان بين الكفر والإيمان ، فجاء بقول بهر / وأوضح نهجا قد دثر/ فيه مواعظ لمن اعتبر/ أحمد خير البشر/ فإن آمنت أعطيت الشبر/ وإن خالفت أصليت سقر/فجانب كل كافر/ وشايع كل مؤمن طاهر ، وإلا فهو الفراق/ لا عن تراق / من ذات الإحرين/ / والنفر اليمانين / وأهل الماء والطين/ الحق بيثرب ذات النخل/ والحرة ذات النعل/ فهناك أهل الطول والفضل/ والمواساة والبذل/ ثم أملس عني.

ويمكن تدوين الملاحظات الآتية:

- سادت الجملة القصيرة التي تكسب النص تسارعا وحركية واضحة.

---

[41] – الشبر : الخير.

[42] – النعل: المكان الغليظ.

[43] – الحول: جمع حائل وهي الأنثى من أولاد الإبل.

[44] – السقاب:هو الذكر من أولاد الإبل.

[45] – الأمالي للقالي ، ج1

[46] – البلاغة والأسلوبية هنريش بليث ، ص:79

[47] - المرجع السابق، ص:80.

This work is published under CC BY-NC-ND 4.0

- هنالك اعتماد في بدء النص على الصيغ الفعلية(اسمع أقل ، قل أسمع) والابتداء بالصيغ الفعلية يؤازر حركية النص ، لأن الفعل هو مصدر الحركة في النص ، كما يمثل الصورة الزمانية للكلام ، فالفعل يثير الحركة لأنه حدث مقترن بزمن كما عرفه النحاة.
- شاعت الصيغ الاسمية بشكل واضح ، والاسمية هنا من شأنها إثارة التأمل والتفكر ، لأن الاسم هو حدث غير مقترن بزمن ، وهو يفيد الثبات ، وعليه تراح النص بين الحركة التي يستلزمها السرد ، على اعتباره النص حكاية سردية يرويها خنافر وهو أحد كهان العرب إلى مستمعيه.
- السجع في النص قصير ، وهو جيد لقصره في مقاييس البلاغيين ، لم يقع فيه تكرار ، لذا لم تأتي الجملة اللاحقة مجرد تكرار لمعنى الجملة المتقدمة ، فالسجعة الثانية لا تساوى السجعة الأولى في الدلالة.
- اعتمدت الجملة المسجوعة على الازدواج كقوله:(اسمع أقل – قل اسمع) فالجملتان متساويتان تتضمن كل منهما فعلين اثنين .
- اعتمدت الجمل المسجوعة على التوازن ، والتوازن في النثر كالوزن في الشعر ، ومن أمثلة (كل دولة إلى أجل – ثم يتاح لها حول) فأجل على وزن حول ، وهذا توازن.
- اعتمد النص على التعريف (النحل- الملل- النصح- الحكام- الكلام – السجع- المتكلف- الملك – الجبار- النار – الكفر – الإيمان...).
- اعتمد النص على تقديم أشباه الجمل مثل(ثم يتاح لها حول – رجعت إلى حقائقها الملل..) والأصل يتاح حول لها ، ورجعت الملل إلى حقائقها.
- اهتم النص بالصفات مثل(بالشعر المؤلف – من عند الملك الجبار- ألف بالآي الكبر-كل مؤمن طاهر...).

وهذه أهم التمثيلات التركيبية التي يمكن أن تتحول سمات فارقة للنص وعلامات أسلوبية مميزة.

ثانيا : المستوى الدلالي:

يتناول المستوى الدلالي على الكلمة والسياق والمترادفات والمصحبات اللغوية والصيغ الاستفهامية وصيغ التذكير والتأنيث والجمع والمفرد.

اعتمد النص من الناحية الدلالية على جملة من الأساليب الدالة :

- الجمل الاستفهامية : (ما هذا الكلام/ومن هذا المبعوث من مضر/ من أين ألقى هذا الدين...).
- الجمل الطلبية: (اسلك أوضح الآثار، تنج من أوار النار...).
- الجمل الشرطية : (فإن أمنت أعطيت الشبر، وإن خالفت ألقيت في سقر...).
- النهي: (جانب كل كافر – شايع كل مؤمن طاهر...).
- العطف بالواو : (فهناك أهل الفضل والمواساة والبذل...).
- الاعتماد على الغريب في اللغة :(الحول – الشجير – ينست – آل العذام – ذبرت – ظلفت – الأوار- الشبر – النعل – السقاب...).

ثالثا : المستوى الصوتي :

يتركز التكرار الصوتي في النص حول السجع ، أي تكرار الأصوات ، ومعرفة صفات تلك الأصوات وخصائصها ، فالنص اعتمد على تكرار الأصوات الآتية :

- الراء: (كبار/الجبار/ شصار/الأخيار/الآثار/ النار/المدر/ البهر/ دثر/اعتبر/ازدجر/الكبر/ مضر/ البشر / الشبر).
- اللام: (أجل/ حول/النحل/ الملل/موول / مبذول/ البذل).
- الميم:(العذام/الحكام/ الكلام).
- النون: (الدين / اليمانيين/ الطين).
- الياء:(راحلتي / أعبدي/ بأهلي).

This work is published under CC BY-NC-ND 4.0

- التاء:(زجرت / طفلت / نهاية / غاية).
- الفاء:(المؤلف/ المتكلف).
- القاف: (الفراق/تراق).

ومن الملاحظ:

استعمل القائل تسعة حروف من حروف العربية ، وتركز استعماله على حرف الراء ، فتكرر استخدامه خمس عشرة مرة ، ثم اللام في المرتبة الثانية الذي تكرر سبع مرات ، وأخيرا التاء بصورتيها المبسوطة والمربوطة ، ولهذه الأحرف دلالات محددة ، فالراء حرف" مجهور، وهو من حروف الذلق ، وسميت ذلقا لأن الذلاقة في المنطق إنما هي بطرف أسلة اللسان ، وحروف الذلق ثلاثة: الراء واللام والنون ، وهي في حيز واحد "[48]، فالمنشئ استخدم حرفين من حروف الذلق بشكل مركز وهما الراء واللام ، ثم اقتصد في استعمال النون فجاء في موضعين اثنين . ويختلف حرف اللام عن حرف الراء ، فهو من حروف المعاني ، تفيد الابتدا كقوله تعالى: (وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة) [49]، ويفيد الجر والظرفية كقوله تعالى: (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة)[50]، والجر مع التعجب كقولنا : لله دره شاعرا.

- الأحرف المذكورة جاءت كلها مكررة في نهايات الفواصل ، أو نهاية الجمل المسجوعة ، وكان من آثار تكرارها ، قد اكتسب الكلام جمالا صوتيا يقوم على ترديد تلك الحروف ، وهو ما يستلزمه أسلوب السجع عامة بما فيه سجع الكهان.
- لم يأت السجع في النص المدروس غاية في ذاته ، بل كان خادما للمعاني ، ولاسيما أن للنص طابعا سرديا إخباريا ، لهذا جاءت الأصوات مناسبة للمعاني ، فالمنشئ أكثر من تكرار الراء لغاية تداولية توصيلة ، على اعتباره من أهم الأصوات الجهورية ، وهذا يخدم موضوع التوصيل لديه .

الخاتمة والنتائج:

بعد العرض الذي قدمناه حول سجع الكهان ودراسته دراسة أسلوبية يمكن أن ندون النتائج الآتية:

1- إن السجع عامة جزء من البلاغة العربية ، وهو عنصر مهم في الكلام.
2- وقف الإسلام في البداية موقف مضادا للسجع ولاسيما سجع الكهان ، لقرب عهد المسلمين في العصور الأولى للإسلام من عهد الجاهلية ، حيث كان يدبج الكهان الأسجاع للتأثير في الناس وحملهم على الأخذ بأباطيلهم وخرفاتها ، ولاسيما فيما سيقع مستقبلا ، وكأنهم يملكون مفاتيح الغيب ، ولهذا نهى الإسلام عنه في البداية، ولما استقرت العقيدة في نفوس المسلمين زالت أسباب التحريم ، فأقره البلغاء واستعمله الأدباء.
3- لا يختلف سجع الكهان عن سجع الكتاب من الناحية الأسلوبية ، ولاسيما في تقصير الأسجاع ، والاعتماد على الازدواج والتوازن.
4- يختلف سجع الكهان عن سائر السجع باستعمال المفردات الغريبة والمعاني الغامضة ، كان ذلك من باب التهويمات والأباطيل التي كان يدبجها الكهان ، لإقناع المخاطبين أن ينقلون أخبار الجن وأنباء الغيب بكلام لا يعرفه البشر.
5- يمكن الاستفادة من المناهج الأسلوبية التي أوجدها الباحثون الأسلوبيون الإسبان في الوقوف على السمات المميزة للأسلوب في سجع الكهان وغيرهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

[48] - لسان العرب ، ابن منظور ، مادة : ذلق.
[49] - النحل : 124.
[50] - الأنبياء:47.

This work is published under CC BY-NC-ND 4.0

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**
- **الحديث الشريف (سنن أبي داود، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د.ت.**
- **المصادر:**
- أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق: ريتر ، مؤسسة الرسالة ط1، بيروت 2004.
- الأمالي ، أبو علي القالي ، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1975.
- البيان والتبيين ، الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام هارون ، طبع دار الكتب ، القاهرة ، 1986.
- التلخيص، جلال الدين القزويني ، تحقيق: عبد الرحمن البرقوقي ، دار الفكر العربي ط2، القاهرة ، 1978.
- الخصائص ، ابن جني ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي ،دار الكتب العلمية ، ط2، بيروت ، 2003.
- سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي ، تحقيق: النبوي شعلان، دار قباء ، القاهرة ، 2003.
- الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، تحقيق: مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، ط2 ، بيروت ، 1989.
- الطراز، يحيى بن حمزة العلوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت.
- لسان العرب ، ابن منظور ، طبع دار صادر ، ط3 ، بيروت ، 1987.
- المثل السائر ، ضياء الدين ابن الأثير ، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة ، مكتبة نهضة مصر ، ط1، القاهرة ، 1959.
- مقدمة ابن خلدون ، تحقيق: حامد أحمد الطاهر ، دار الفجر للتراث ، ط1 ، القاهرة ،2004.
- مفتاح العلوم ، السكاكي ، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت ، د.ت.

- **المراجع:**
- الأسلوب دراسة لغوية أسلوبية ، عد مصلوح ، دار الفكر العربي ، ط1 ، القاهرة ، 1984.
- الأسلوبية منهجا نقديا ، محمد عزام ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، 1989.
- البلاغة والأسلوبية ، محمد عبد المطلب ، مكتبة لبنان ، ط1 ، بيروت 1994.
- البلاغة والأسلوبية هنريش بليث ، ترجمة : محمد العمري ، دار أفريقيا الشرق ، ط1 ، المغرب ، 1995.
- تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي ، شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، 1960.
- علم الأسلوب ، صلاح فضل ، دار الشروق ، ط1 ، القاهرة ،1998 .
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون ط2 بيروت، 2002.
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جواد علي ، دار الساقي ، ط4 ، بيروت 2001.

This work is published under **CC BY-NC-ND 4.0**